ISSN: 2663-5798 || Arab Journal for Scientific Publishing

الإصدار السابع – العدد سبعة وستون
تاريخ الإصدار: 2 – آيار – 2024م
www.ajsp.net

"الروابط التاريخية والصلات الإجتماعية بين إمارات الساحل وشبه القارة الهندية"

إعداد الباحثة:

مريم حميدان الزعابي

محاضر– كليات التقنية العليا

الإمارات العربية المتحدة

ملخص:

جمعت بلدان الخليج العربي وشبه القارة الهندية علاقات تاريخية قديمة، وكان الخليج العربي وخليج عمان حلقة الوصل التي تربط التجارة بين حوض السند وبلاد الرافدين، والتي أُستدل عليها من خلال الاكتشافات الأثرية في المنطقة. كانت الملاحة العربية في المياه الهندية معهودة قبل الإسلام بقرون عديدة، ووصلت اللغة العربية إلى شبه القارة الهندية على يد التجار والملاحين العرب قبل الإسلام، وعندما ظهر الإسلام واعتنقه العرب كان من ضمنهم التجار والبحارة الذين حملوا على عاتقهم نشر الدين الإسلامي في الأقاليم التي وصلوا إليها في رحلاتهم البحرية.

امتازت الطرق البحرية التي كانت تسلكها سفن التبادل التجاري بين الخليج العربي وشبه القارة الهندية بثبات معالمها واتجاهاتها منذ أقدم العصور، وتنوعت قائمة التبادل التجاري بين الخليج العربي والهند وسيلان سواء من السلع الأساسية أو الكمالية، إلا أنّ الميزان التجاري رجح في مصلحة الهند؛ فكمية صادراتها تفوقت على صادرات دول الخليج العربي، ووصلت خيراتها إلى أوروبا عن طريق الخليج العربي فنهر الفرات ومنْ ثمّ تنتقل برًا إلى موانئ الشام ومصر، ويتولى الأوروبيون (وبالأخص تجار البندقية) من بعد ذلك نقلها وتصريفها في أوروبا.

استطاع البرتغاليون انتزاع سيطرة العرب على الطرق التجارية المؤدية إلى الهند بعد اكتشافهم رأس الرجاء الصالح، وهيمنوا على الهند وعلى الخليج قرابة قرن، وعندما ضعفت البرتغال استغلت بريطانيا ذلك، وظهرت كدولة أوروبية منافسة لها في الحصول على ثروات وأرباح التجارة الشرقية، وبسطت نفوذها على الخليج والهند. كان الخليج يدار من قبل حكومة الهند البريطانية، وينفذ عبر وكلاء بريطانيين مقيمين في مسقط والشارقة وبوشهر والبحرين والكويت؛ مما أدى إلى زيادة أعداد الهنود، وخاصة أنهم كانوا يتمتعون بالرعاية البريطانية. ولقد امتلك الهنود رأسمال؛ نتيجة ممارستهم للتجارة، وكانوا يُقرضون صيادي اللؤلؤ حتى أصبحت الصناعة تعتمد على الرأسمالية الهندية، وصارت العملات المتداولة محصورة في الروبية الهندية، وكذلك الطوابع الهندية أصبحت هي الطوابع المستخدمة لأغراض البريد مختومة فوقها عبارة البحرين أو مسقط أو الكويت أو قطر، بالإضافة إلى ذلك فقد تأثرت اللهجات المستخدمة على سواحل الخليج بالكثير من المفردات والعبارات ذات الأصول الهندية. ولا يمكن إنكار الأثر الإيجابي لتواجد سكان دول شرق آسيا في منطقة الخليج سواءً التجارية أو الثقافية أو الاجتماعية.

المصطلحات الأساسية: القارة الهندية، الخليج العربي، التجارة، العلاقات العربية الهندية.

المقدمة:

وجهت السلطات المركزية في دولة الإمارات العربية المتحدة بعد قيام الاتحاد عام 1971م ثروات البلاد من مواردها الطبيعية (النفط والغاز الطبيعي) لمصلحة الدولة؛ سعياً منها لتحسين معيشة كافة أفراد الشعب، وتقديم الخدمات المجانية من تعليم وإسكان ورعاية صحية ومساعدات اجتماعية، وتشييد بنية تحتيّة تدعم الأنشطة والصناعات غير النفطية. كانت دولة الإمارات في بداية نشأتها عامل جذب لكثير ممن يبحث عن فرص عمل خارج دولته؛ فعائدات النفط والنمو الاقتصادي والمشاريع التنموية خلقت العديد من شواغر العمل التي لا يمكن لسكان الإمارات سدّها؛ لعدم كفايتهم عددًا وتخصصاً؛ فولّد ذلك هجرات كبيرة، وخاصة من الأقطار الآسيوية الذين تركزوا في تنفيذ المشاريع المتعلقة بالقطاع النفطي، وقطاع التشييد والبناء.

تعتبر الجالية الهندية من أكبر المجتمعات الوافدة المقيمة في دولة الإمارات وفق آخر إحصائية عام 2017م الصادرة عن الهيئة الاتحادية للتنافسية والإحصاء، تليها الجالية الباكستانية، والبنغلاديشية، وغيرها من الجنسيات الآسيوية، والأوروبية، والأفريقية، والعربية.

وعليه، فإن التساؤل الذي يفرض نفسه في هذا المقام هو: لماذا تتفوق العمالة الوافدة في دولة الإمارات من دول شرق آسيا(الهند وباكستان وسريلانكا) على بقية العمالة الوافدة من الدول الأخرى؟ وهل تزامن وجودها مع ظهور البترول وقيام الاتحاد؟ أم أنّ هناك روابط قديمة بينها وبين بلاد الخليج وساحل عمان؟ وما الآثار المترتبة على ذلك؟

المبحث الأول: الجذور التاريخية

أولًا: قبل الميلاد

جمعت بلدان الخليج العربي وشبه القارة الهندية علاقات تاريخية قديمة، وكان الخليج العربي وخليج عمان حلقة الوصل التي تربط التجارة بين حوض السند وبلاد الرافدين، ويستدل على قدم الصلات التجارية والذي يعود إلى الألف الثالثة قبل الميلاد الاكتشافات الأثرية في جزيرة أم النار ومنطقة الهيلي قرب مدينة العين التابعة لإمارة أبوظبي، حيث عثر على خناجر برونزية شبيهة بالخناجر التي كانت تصنع في منطقة حوض نهر الهندوس[i]. وفي مناطق أخرى من دولة الإمارات العربية المتحدة، مثل رأس الخيمة، تم العثور داخل أحد المدافن الأثرية على أوانٍ فخارية وحجرية من عصر (Harappa) في وادي الإندوس، إضافة إلى أحجار للوزن من تلك التي كانت تستخدم في المدن الواقعة على ضفاف نهر السند ما بين عامي 2300 – 1800 قبل الميلاد[ii].

واكتُشفَ في البحرين أختام وأوانٍ فخارية من الطراز الهندي القديم تعود إلى الألف الثالثة قبل الميلاد، في حين عُثر على أختام خليجية (من البحرين وعمان) في لوتال في الهند، ويُعتقد من ذلك أنها أختام تجارية للبضائع المتبادلة؛ الذي يدل على قوة النشاط التجاري بين الهنود والعرب[iii]. كما عُثر على حبات من العقيق الأحمر العائدة إلى حضارة وادي السند في عمان والإمارات والبحرين، والتي كانت ترمز إلى الحياة الاجتماعية والسياسية والتجارية في العصر البرونزي، إلى جانب كونها أداة للزينة الشخصية؛ مما يظهر أنّ المشيخات (الإمارات الآن) تاجروا بالأحجار الكريمة من عاج وخرز التي كانت تأتي من وادي السند[iv].

ثانيًا: عصر ما قبل الإسلام

كانت الملاحة العربية في المياه الهندية معهودة قبل الإسلام بقرون عديدة، ووصلت اللغة العربية إلى شبه القارة الهندية على يد التجار والملاحين العرب قبل الإسلام، حتى كان بعضهم يستخدمها كخطاب سري في الحروب، وكان هذا قبل وصول الاسكندر المقدوني إلى الهند[v] سنة 327 ق.م، الذي دخلها من أرض السند(باكستان حاليا) فاتحا كلّ البلدان التي تعترض طريقه من اليونان إلى الهند هازمًا ملوكها مخضعًا أكبر جزء منها لحكمه[vi].

أدّت الهجرات القديمة للجاليات الهندية كالزط والأساورة والسياجة والبياسرة الذين استقروا بشواطئ الخليج العربي قبل ظهور الإسلام إلى تعميق التواصل بين الهنود والعرب[vii]. وقد سهّل هجرة وقدوم الجاليات الهندية واستقرارها في شبه الجزيرة العربية سببين، أولّهما: أنّ أجزاء من الهند والسواحل الشرقية للخليج العربي كانت تخضع للدولة الفارسية، فكانوا ينتقلون ضمن إطار الدولة الواحدة. أمّا السبب الثاني فقد ربط العرب والهنود علاقات تجارية؛ حيث كان الهنود يعودون مع العرب إلى بلادهم في مواسم التجارة، ووجدوا في

ISSN: 2663-5798 || Arab Journal for Scientific Publishing

بلاد العرب متنفسًا لهم عن بلادهم الهند التي كانت تتسم بالكثافة السكانية، وتعاني من صراعات سياسية ونزاعات دينية. كما تميز الهنود بسرعة تكيّفهم مع سكان البلاد التي يقيمون فيها مع احتفاظهم بتقاليدهم وطريقة حياتهم؛ الذي مكّنهم من الاستقرار في بلاد العرب، وإتقانهم للغة العربية بل إنّ بعضهم كان يعيش عيشة الأعراب البدو الرّحل، بالإضافة إلى أنّ للوثنية التي كان العرب والهنود يعتنقونها دور في اندماج الهنود في بلاد العرب. وكان العرب ينظرون إلى الهنود المستعربين والتجار نظرة احترام وتقدير وإكرام وهذا ليس بالغريب عنهم فهم أهل الضيافة والكرم والجود، وعاد وجود الهنود بالنفع على العرب؛ إذ وفروا عليهم عناء السفر للهند لتوفير الحاجيات الضرورية، إلا أن مخالطة العرب لهم وللفرس عادت عليهم بضعف لغتهم العربية[viii].

ولقد ذكر مصطفى الرافعي في كتابه (تاريخ آداب العرب) أنّ رواية الحديث الشريف أخذت عن القبائل التي بعدت عن أطراف الجزيرة وبقيت في سرّة البادية كقبيلة قيس، وتميم، وأسد؛ لأن القبائل التي سكنت أطراف الجزيرة تأثرت بالأقوام التي جاورتها وخالطتها، كعبد القيس وأزد عمان الذين كانوا بالبحرين مخالطين للهند والفرس[ix].

ثالثاً: مجيء الإسلام

عندما ظهر الإسلام ودخل العرب في دين الله أفواجًا كان من ضمنهم التجار والبحارة العرب الذي حملوا على عاتقهم نشر الدين الإسلامي في الأقاليم التي يصلون إليها في رحلاتهم البحرية[x]. ولمّا تأسست الدولة الإسلامية في عهد الرسول– صلى الله عليه وسلم– وتوسعت في عهد الخلفاء الراشدين وازدهرت في العصر الأموي اتسعت رقعتها شرقًا وغربًا وامتدت حدودها من الصين والهند شرقًا إلى أسبانيا غربًا[xi]. ولفتح بلاد السند في العصر الأموي في عام 711م بقيادة محمد القاسم دور كبير في توثيق العلاقة والترابط الأبدي بين منطقة الخليج والهند[xii]، ولقد كانت سواحل السند ومليبار الواقعة على بحر العرب وجزيرة سيلان من أسعد البلدان بالدين الجديد[xiii]؛ ممّا كان له الأثر الكبير في ازدهار العلاقات التجارية في الفترة الممتدة من القرن السابع للميلاد إلى العاشر حتى أطلق عليها (العصر الذهبي)[xiv]، ورحّب الملوك الهنود بالتجار العرب في ممتلكاتهم، وساعدوهم في إرساء قواعد عقيدتهم ببناء أول مسجد في الهند، وواصل الدعاة العرب إقامة المساجد في بدعم ورعاية من الملوك المحليين[xv].

ولم تقتصر هذه العلاقة على التجارة فحسب بل كان لحركة الترجمة من الهندية إلى العربية دور كبير في نقل ثمار العلوم والإبداعات الهندية إلى العرب (في عهدي هارون الرشيد وابنه المأمون) ومن هذه العلوم: الأدب، والفلسفة، والرياضيات، والفلك، وسموم الأفاعي، وأمراض النساء، وصناعة الأدوية. كما نشطت أيضاً حركة الكشف الجغرافي والتدوين التاريخي، والتي حملت عدداً من الرحالة والجغرافيين والمؤرخين العرب على السفر إلى الهند، فظهرت على أيديهم أوائل الكتب العربية التي تصف بلاد الهند وأوضاعها السياسية والاقتصادية وعادات أهلها وتقسيماتهم العرقية والمذهبية[xvi]، أمثال: سليمان التاجر (ت 851م)، المسعودي (ت 957م)، الشريف الإدريسي (ت 1160م)، زكريا القزويني (ت 1238م)، ياقوت الحموي (ت 1229م)، وابن بطوطة (ت 1377م).

المبحث الثاني: الطرق التجارية بين الخليج العربي وشبه القارة الهندية

امتازت الطرق البحرية التي كانت تسلكها سفن التبادل التجاري بين الخليج العربي وشبه القارة الهندية بثبات معالمها واتجاهاتها منذ أقدم العصور . وكانت الرحلات التجارية تتبع أحد الطريقين البحريين التاليين:

1- **الطريق الساحلي:** وهو أقدم الطرق، إذ يبدأ من البصرة ويسير بمحاذاة الساحل الشرقي للخليج العربي مخترقًا عدداً من جزره إلى أن يصل إلى هرمز، ومنها يستدير إلى ساحل مكران قاطعًا إياه ليصل إلى ساحل بلاد السند، الذي يعدّ أول مصدر من مصادر التجارة مع شبه القارة الهندية، وبعدها تسير السفن إلى سواحل الهند الغربية إلى نهايتها، وقد تنعطف على سيلان[xvii] أو تستدير إلى الساحل الشرقي للهند. وأطلق ابن ماجد على هذا الطريق (ديرة المل).

2- **الطريق البحري المباشر:** يعدّ هذا الطريق مختصراً إلا أنه أكثر خطورة من الطريق السابق؛ إذ يبدأ من البصرة قاطعا الساحل الغربي للخليج العربي حتى نهايته حيث مسقط في عمان ، ويتزود فيها التّجار المسافرون بالماء العذب والمؤن ليكملوا رحلتهم مباشرة إلى أي ميناء في السند أو ساحل الهند الغربي. وسمّاه ابن ماجد (ديرة المطلق)[xviii].

ولقد ذكر سليمان التاجر الطريق التجاري البحري من البصرة إلى الهند والصين قائلاً : " إن أكثر السفن الصينية تحمل من سيراف[xix] وأنّ المتاع يُحمل من البصرة وعمان وغيرها إلى سيراف فيُعبى في السفن الصينية بسيراف وذلك لكثرة الأمواج في البحر وقلة الماء في مواضع منه، ...فإذا عُبئ المتاع بسيراف استعذبوا منها الماء وخطفوا إلى موضع يقال له مسقط وهو آخر عمل عُمان...فإذا جاوزنا الجبال صرنا إلى موضع يقال له صحار عمان فنستعذب الماء من مسقط من بئر بها..."[xx].

ونلاحظ أنّ المحطات التي كانت تمرّ بها السفن التجارية في طريقها من وإلى الهند للتزود بالماء والطعام أو لتبادل البضائع عديدة، فلقد بدأ سليمان التاجر الرحلة من ميناء سيراف الذي كان يعّد من أهم مراكز التجارة البحرية خاصة في القرون الثلاثة للهجرة، والذي كان المنافس الأول لميناء البصرة[xxi] الذي أنشأه العرب بعد فتحهم للعراق. و كانت التجارة في العراق قبل فتحها عام 14هـ في عهد الخليفة عمر بن الخطاب– رضي الله عنه– عامرة في ميناء الأبلة، وذاعت شهرتها حتى عرفت بثغر الهند (أو فرج الهند)؛ كونها تستقبل السفن الكبيرة والمحملة بتاجرات الهند والصين وعمان والبحرين، ومنها تبحر محملة بالتجارة التي ترد من بغداد والبصرة والبلدان الأخرى إلى بلاد الفرس والهند وسرنديب[xxii] (سيلان أو سريلانكا) والصين[xxiii].

وأفقد ميناء سيراف أهميته كمركز تجاري للسفن العربية والهندية سقوط دولة البوهيين على يد السلاجقة سنة 447 هـ، واستطاع سكان جزيرة قيس على أثره أن يحولوا طريق التجارة البحرية القادمة من المحيط الهندي إلى جزيرتهم، وظلت قيس مسيطرة على التجارة البحرية إلى سنة 700هـ بسقوط الخلافة العباسية على يد التتار، وانتقلت التجارة إلى جزيرة هرمز[xxiv].

أما مسقط فقد اكتسبت شهرة واسعة نظرًا لنشاط حركة التجارة في مينائها الذي يملك موقعا جغرافيا فريدًا؛ إذ يقع في رأس إلتقاء الساحل الغربي للخليج العربي والساحل الجنوبي لشبه الجزيرة العربية، وطبيعته المناخية التي تؤمن السفن الراسية فيه من كلّ أنواع الرياح، إلى جانب توفر المياه العذبة في مسقط، فيتزوّد منه التجار المسافرون لإكمال رحلتهم إلى سواحل الهند[xxv]. وجدير بالذكر أنّ موانئ عمان (صحار وظفار وقلهات) امتازت بنشاط تجاري أيضًا؛ إذ كان يُصدر منها الخيول العربية والتمور واللبان إلى الهند[xxvi].

يذكر ابن ماجد أنّ أول وأهم الموانئ الهندية التي يصل إليها التجار الخليجيون ميناء الديو (رأس مدور)؛ بسبب الخطوط المباشرة التي تصل به من مسقط وقلهات، والموانئ والمحطات على ساحل (كنكن) التي تتوقف فيها السفن التجارية. وأولى ابن ماجد أهمية كبيرة لساحل مليبار؛ لأهمية هذا الإقليم الهندي بالنسبة للتجارة الخليجية، والذي كان يعدّ مصدر خشب الساج الذي يدخل في صناعة سفن الخليج العربي[xxvii]. وعرفت مليبار أيضا ببلاد الفلفل؛ نظرًا لشهرتها في إنتاج الفلفل، فجذب إليها أنظار التجار الأجانب منذ العصور الأولى للميلاد[xxviii]، ويؤكد ذلك ما ذكره القزويني عن مليبار: " ناحية واسعة بأرض الهند تشتمل على مدن كثيرة، بها شجر الفلفل...،

الإصدار السابع – العدد سبعة وستون
تاريخ الإصدار: 2 – آيار – 2024م
www.ajsp.net
ISSN: 2663-5798 || Arab Journal for Scientific Publishing

ويحمل الفلفل من أقصى المشرق إلى أقصى المغرب، وأكثر الناس انتفاعا به الفرنج يحملونه في بحر الشام إلى أقصى المغرب"[xxix]. كما أنّ ميناء كاليكوت على ساحل مليبار من موانئ الهند المهمة؛ كونه يعدّ محطة تجارية مهمة ومعروفة للتجار والمسافرين، ويربطه بالخليج العربي خط مباشر يبدأ من هرمز.[xxx]

أدّت الموانئ على ساحل الخليج العربي دورا مهما في حركة التجارة الخارجية مع القارة الهندية؛ فالقواسم اتخذوا خور رأس الخيمة مركزا لنشاطهم التجاري البحري خلال القرن الثامن عشر حتى قضى الأسطول الإنجليزي عليهم وأحرقوا رأس الخيمة عام 1820م. أما خور الشارقة فقد كان مركزا حيويا لتجارة الاستيراد وإعادة التصدير في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وقد شبهه الرحالة (وليم بلجريف) بميناء لنجة[xxxi] على الساحل الفارسي، فقد كانت تصل إليه السلع الفارسية والهندية والمنتجات الغربية التي يتم توزيعها على نطاق واسع، كما كان سوقًا رئيسية لتجارة الرقيق السائدة في ذلك الوقت، فأصبح عنصر جذب لكثير من الأجانب من مختلف الدول والأجناس[xxxii]. تراجعت التجارة في ميناء الشارقة مع بداية القرن العشرين ليفقد أهميته تماما كمركز للتجارة منذ 1950م، حتى تم بناء ميناء خالد الحديث بالشارقة لمواكبة حركة التجارة المتزايدة، واكتمل إنشاؤه عام 1983م.[xxxiii]

كان اقتصاد دبي في بداية القرن العشرين بسيطا يعتمد على تجارة اللؤلؤ، وتجارة إعادة تصدير البضائع التي تصلها من ميناء لنجة التي تفرغ فيها سفن شركات الهند التجارية البريطانية بضائعها، ليتم توزيعها على مناطق الخليج العربي[xxxiv]. وكان قدوم البلجيك سببًا في انهيار ميناء لنجة؛ لرفعهم رسوم الضرائب على الصادرات والواردات بتأييد من الحكومة الفارسية، والذي أدّى إلى تذمر التجار[xxxv]؛ فاستفادت دبي من الظروف الاقتصادية التي يمر بها ميناء لنجه وأعلن مكتوم بن حشر حاكم دبي (1894 – 1906م) ميناء دبي ميناءً حرًّا[xxxvi]؛ مما دفع التجار الفرس والعرب إلى الهجرة من موانئ لنجه وبشيك ولارين على الساحل الإيراني إلى خور دبي؛ لممارسة نشاطهم التجاري بعيدًا عن تعسف الحكومة الفارسية وفرضها للرسوم الجمركية العالية على تجارة إعادة التصدير[xxxvii]. ترددت سفن الملاحة التجارية الهندية– الانجليزية على ميناء دبي، وتوافد إلى دبي أعداد من المهاجرين الهنود والفرس مستفيدين من قلة الرسوم الجمركية والازدهار التجاري الذي شهدته الإمارة في العقدين الأول والثاني من القرن العشرين[xxxviii]، وأكسبت حرية التجارة في دبي وانخفاض الرسوم الجمركية شهرة في تجارة إعادة التصدير (الترانزيت)، وأنعشت فيها حركة التجارة في الفترة التي سبقت ظهور النفط عام 1966م.[xxxix]

كما عُدّت خورفكان وميناؤها على الساحل الشرقي لدولة الإمارات على خليج عمان قديمًا مركزًا حضاريًا لاغنى عنه لمسندم ودبا والفجيرة وكلباء وصحار ومسقط ودبي؛ وذلك لقربها من مضيق هرمز، الذي جعلها ضمن خط العبور إليه؛ فتصل إليها الإيرادات وتُجمع وتُرسل إلى هرمز.[xl]

المبحث الثالث: السلع المتبادلة بين إمارات الساحل والهند وسيلان

تنوعت قائمة التبادل التجاري بين الخليج العربي والهند وسيلان سواء من السلع الأساسية أو الكمالية، إلا أنّ الميزان التجاري رجح في مصلحة الهند؛ فكمية صادراتها تفوق صادرات دول الخليج العربي. ويعدّ الخشب من أهم السلع التي كانت تُصدر من الهند إلى الخليج العربي، ومن أنواعه الساج والنارجيل (خشب أشجار جوز الهند)؛ حيث كان يستخدم في صناعة السفن وعمل أسقف المنازل[xli]، بالإضافة إلى التوابل والفلفل وحب الهال والقرفة والكافور وخشب الصندل وخشب الصبرة والعطور والعنبر الخام. ومن المنتجات الزراعية

ISSN: 2663-5798 || Arab Journal for Scientific Publishing

المصدرة المانجة، والبرتقال، والكريب فروت، وجوز الهند، وفاكهة الجامان، والليمون، والأترج، والأرز. إلى جانب الموصولين الناعم[xliii]، والأقمشة القطنية، والنيلة[xliiii]، والصنادل (الأحذية)[xliv]،والمعادن: كالرصاص، والحديد، والنحاس.[xlv]

ذكر القزويني أنّ جزيرة سيلان (سيرلانكا) غنية بالصندل والسنبل والدار صيني والقرنفل والبقم والعديد من العقاقير التي وصلت الخليج، كما بها المعادن والجواهر[xlvi]، ومنها الياقوت (الأحمر والأصفر والآسمانجوني) والذهب واللؤلؤ[xlvii]. وتصدر سيلان (سيرلانكا) الشاي والقهوة والهيل والنارجيل والمطاط والقرفة، والعديد من الفواكه، منها: الموز، والمانجو، والبرتقال.[xlviii]

وفي المقابل فإن صادرات الخليج كانت من الخيل، والتمر، والمنسوجات، والمنتوجات الزراعية الأخرى، واللؤلؤ الذي يعد من السلع الثمينة التي كانت تحمل بكثرة من الخليج العربي إلى الهند[xlix]. وقد امتهن سكان الإمارات (أبوظبي، دبي، الشارقة، أم القيوين، ورأس الخيمة) الواقعة على سواحل الخليج العربي والتي كان يطلق عليها (ساحل عمان) مهنة الغوص على اللؤلؤ والتجارة مع الهند، وكانوا يمتلكون السفن التجارية ويشتغلون بصناعتها، بالإضافة إلى زراعتهم لأشجار النخيل والمتاجرة بتمورها. [l]

وكانت خيرات الهند تصل إلى أوروبا عن طريق الخليج العربي فنهر الفرات، ثم تنتقل برًا إلى موانئ الشام ومصر، ومنها يتولى الأوروبيون (وبالأخص تجار البندقية) نقلها وتصريفها في أوروبا. كان المسلمون يتحكمون في الطرق التجارية البحرية والبرية بين الهند وأوروبا ويسيطرون عليها، ويجبون الضرائب منها، وكان الأوروبيون يضيقون ضرعًا من ارتفاع الضرائب وتحكم المسلمين في تجارتهم. امتازت الهند بخيرات أكسبتها شهرة كبيرة؛ ممّا جعل الأوروبيين يتسابقون إليها للاستفادة منها والسيطرة عليها وانتزاع التجارة من أيدي العرب، ودفعهم ذلك إلى اكتشاف رأس الرجاء الصالح والأمريكيتين على يد البرتغاليين الذين ظنوا في بادئ الأمر أنها سواحل الهند، فأطلقوا عليها الهند الغربية[li]. ساعد اكتشاف رأس الرجاء الصالح البرتغاليين الوصول إلى الهند وهيمنتهم عليها وعلى الخليج قرابة قرن، إلا أنّ خشونة معاملتهم للسكان وجشعهم وبطشهم كانت سببًا من أسباب ضعفها، بالإضافة إلى ظهور بريطانيا كدولة أوروبية منافسة للبرتغال في الحصول على ثروات وأرباح التجارة الشرقية التي تحتكرها البرتغال وخصوصا بعد الانتصار الساحق الذي حققته على الأسطول المشترك لأسبانيا والبرتغال (الأرمادا) سنة 1588م؛ إذ فتح هذا النصر الباب أمام بريطانيا لتبسط نفوذها على الخليج والهند، وعزز هذا الوجود تأسيس شركة الهند الشرقية البريطانية عام 1900م والتي من خلالها استطاع البريطانيون احتكار التجارة الهندية.[lii]

وبحجة تأمين السلام والاستقرار في المياه المحاذية للهند شنت بريطانيا حملاتها في الخليج للقضاء على القواسم الذين كانوا يشكلون خطرًا عليها واتهموهم بالقرصنة، وكبّلوا المنطقة بمعاهدات في أواخر القرن التاسع عشرالميلادي وبداية القرن العشرين الذي أضفى الصفة القانونية على الوجود البريطاني في الخليج. وكان الخليج يدار من قبل حكومة الهند البريطانية وينفذ عبر وكلاء بريطانيين مقيميين في مسقط والشارقة وبوشهر والبحرين والكويت؛ مما أدى إلى زيادة أعداد الهنود، وخاصة أنهم كانوا يتمتعون بالرعاية البريطانية. وقد ميزت نورة القاسمي في كتابها (الوجود الهندي في الخليج العربي وشبه القارة الهندية) بين الهنود المسلمين المتواجدين في الخليج منذ زمن بعيد وبين الهنود من الهندوس الذين قدموا إلى المنطقة نتيجة الوجود البريطاني؛ فقد كان للهندوس دور كبير في أعمال التجارة في الخليج، وكانوا يقومون بدور الوكلاء التجاريين للشركات الأوروبية وبالأخص الإنجليزية وتصريف سلعه. ونتيجة لممارسة الهنود التجارة؛ فقد امتلكوا رأسمال مكنهم من إقراض صيادي اللؤلؤ حتى أصبحت الصناعة تعتمد على الرأسمالية الهندية[liii]، وصارت العملات المتداولة محصورة في الروبية الهندية، وكذلك الطوابع الهندية أصبحت هي الطوابع المستخدمة لأغراض البريد مختومة فوقها عبارة البحرين أو مسقط أو الكويت أو قطر، وتأثرت اللهجات المستخدمة على سواحله بالكثير من المفردات والعبارات ذات الأصول الهندية.[liv]

AJSP
المجلة العربية للنشر العلمي
الإصدار السابع – العدد سبعة وستون
تاريخ الإصدار: 2 – آيار – 2024م
www.ajsp.net
ISSN: 2663-5798 || Arab Journal for Scientific Publishing

المبحث الرابع: أثر العلاقات العربية الهندية

- **الأثر التجاري:**

كان لفتح بلاد السند وانتشار الإسلام في شبه القارة الهندية دور في هجرة التجار العرب والمسلمين نحو الهند واستقرارهم فيها وبناء المساجد[lv]، فجعلوا فيها وبالتحديد في (بومباي) مراكز ثابتة فيها ومحلات تجارية، وتزوجوا من نسائها وأنجبوا الأطفال، كما حصلوا على بعض التوكيلات من الشركات الهندية البريطانية. وأقام تجار اللؤلؤ الخليجين الأغنياء في(بومباي)؛ لأنها كانت تعدّ مركزا مهمًا لتجارة اللؤلؤ يلتقون فيها تجار اللؤلؤ من كلّ البلدان في المواسم، ونذكر تجار اللؤلؤ المقيمين في (بومباي) في النصف الأول من القرن العشرين والذين ينتمون إلى الإمارات المتصالحة : عبدالرحمن المدفع، وعيسى النابوده وحميد بن جامل من أهالي الشارقة، ويوسف الصايغ من أهالي دبي، وسعيد النومان من أهالي الشارقة الذي يُعدّ من أشهر الدلالين في بيع اللؤلؤ. [lvi]

وكان للتّجار الهنود الذين توافدوا بكثرة بعد اضمحلال ميناء لنجه، وبدعوة من حاكم دبي للمجئ والاستفاده من مينائها الحر دورٌ كبير في تمويل رحلات الغوص على اللؤلؤ، وتقديم الخدمات المصرفية، واحتكار تجارة التجزئة. بالإضافة إلى ذلك فقد تمتع الهنود بقوة مالية وسمعة طيبة؛ الذي أسهم في تفرع تجارتهم، والعمل على سلع الجملة: كالشاي، والأرز ، والحبوب، والتوابل..[lvii]

- **الأثر الثقافي والاجتماعي:**

جعل ظهور الإسلام وفتح بلاد السند وانتشاره في مختلف أرجاء الهند إلى اعتناق عدد كبير من الهنود الإسلام، وانكبوا على تعلّم الشريعة الإسلامية واللغة العربية. يذكر أحمد زين الدين المليباري أنّ جمعية العلماء لعموم كيرلا التي أسست سنة 1920م كانت تدرس القرآن والفقه والتجويد والأخلاق واللغات العربية والإنجليزية والأوردية، وانتشرت فروعها في الهند واجتذبت الكثير من الطلاب من الخارج والداخل، كما كانت تشرف على الجامعات والكليات وتبعث الوعاظ إلى خارج الهند[lviii]. وكان أغنياء الخليج يرسلون أبناءهم إلى الهند ليدرسوا في المؤسسات الإسلامية قبل أن يعرفوا طريق الجامعات الأوروبية والأمريكية، ومثال على ذلك سعيد النومان من أهالي الشارقة حيث سافر إلى الهند لدراسة اللغة الانجليزية[lix]. ولم يعرف الخليج الطباعة العربية قبل الحرب العالمية الأولى، إذ كانت الكتب المطبوعة والجرائد والمحلات الأدبية تأتي إليها من الهند عن طريق السفن القادمة من بومباي.[lx]

الخاتمة:

ربطت دول الخليج العربي وشبه القارة الهندية علاقة تاريخية قديمة ، واحتفت بصداقة عبر القرون. فهي ليس مجرد علاقة دولة بدولة، بل جسور من الروابط التاريخية والثقافية والحضارية. وكما ساهم الهنود في تحريك الاقتصاد في عصر اللؤلؤ وانعاش موانئ الخليج بالتجارة، ساهموا أيضا في تحريك عجلة التنمية الاقتصادية في منطقة الخليج العربي، وإنعاش أسواقها، ورفع بنيتها التحيتية من خلال المشاريع التنموية التي أطلقتها دول مجلس التعاون الخليجي في فترة السبعينات؛ تحقيقًا لأهدافها في اللحاق بالدول المتقدمة. وقد احتاجت دول الخليج استقدام العمالة العربية وغير العربية وخاصة العمال الآسيوية لتنفيذ مشاريعها، وتحقيق رؤيتها؛ نظرًا لقلة القوى العاملة المحلية، وقلة خبرتهم ومهاراتهم.

ISSN: 2663-5798 || Arab Journal for Scientific Publishing

ومن جانب آخر، فإنّ هجرة العمالة الآسيوية للعمل في المنطقة كان ذو أثر إيجابي عليهم؛ إذ ساهم ذلك في إعالة الآسيويين عوائلهم وتحسين أوضاعهم المعيشية، ودعم اقتصاد بلدانهم من خلال تنفيذ مشاريع تنموية تعيل بها ذويهم. ونجد أن أبناء الرعيل الأول أصبحوا الآن ذو شهادات عليا، ومهارات تكنولوجية ومهنية عالية.

قائمة المصادر والمراجع:

التاجر، سليمان. **عجائب الدنيا وقياس البلدان**، تحقيق: المريخي، شاهين (الإمارات: مركز زايد للتراث والتاريخ، ط1، 2005م).

الحموي، ياقوت. **معجم البلدان** (دار صادر: بيروت، 1977م، ج3).

راجاموني، فينو. **الهند والإمارات العربية المتحدة –احتفاء بصداقة اسطورية** (أبوظبي: المركز الوطني للوثائق والبحوث، ط1، 2013).

الرافعي، مصطفى صادق. **تاريخ آداب العرب** (بيروت: دار الكتب العلمية،ج1، ط1، 2000).

العبودي، محمد بن ناصر. **رحلة إلى سيلان وحديث في أحوال المسلمين** (السعودية: الجمعية العربية السعودية، ط1، 1983).

"العلاقات التاريخية بين الخليج العربي وشبه القارة الهندية"، تحرير علي عبدالله فارس، مركز الدراسات والوثائق، رأس الخيمة، 17-19 مارس 1990.

الفارس، محمد فارس. **الأوضاع الاقتصادية في إمارات الساحل (دولة الإمارات حاليا 1862-1965)** (أبوظبي: مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، ط2، 2015م).

القاسمي، نورة محمد. **الوجود الهندي في الخليج العربي وشبه القارة الهندية 1820-1947** (الشارقة: دائرة الثقافة والإعلام، ط3، 2007).

القزويني، زكريا بن محمد. **آثار البلاد وأخبار العباد** (بيروت: دار صادر، ب.س).

المريخي، شاهين. **عجائب الدنيا وقياس البلدان المنسوب لسليمان التاجر** (الإمارات: مركز زايد للتراث والتاريخ، ط1، 2005).

المليباري، أحمد زين الدين. **تحفة المجاهدين في أحوال البرتغاليين**، تحقيق: الطريحي، محمد سعيد (بيروت: المركز الثقافي العربي الهندي، ط1، 1985).

النقبي، محمد خميس. **خورفكان في ذاكرة الزمان** (الإمارات: دار كتاب، ط1، 2012م).

النمر، عبدالمنعم. **تاريخ الإسلام في الهند** (بيروت: المؤسسة الجامعية، ط1، 1981).

الدوريات:

الصايغ، فاطمة حسن. "**المراحل التاريخية لحركة التطور في إمارة دبي 1902-1971**"، مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية، العدد 95 (الكويت: 1999م).

المدني، عبدالله. "العلاقات الخليجية الهندية–خصوصية وتميُّز عبر التاريخ"، **الاتحاد** (أبوظبي، 26 يناير 2017).

عبده، سعيد أحمد. "**موانئ دولة الإمارات العربية المتحدة: دراسة جغرافية النقل البحري**"، رسائل جغرافية، العدد 124(الكويت: 1989م).

عبدالغني، رؤى هاشم خليل. "**إمارة دبي(1912- 1971م)**"، رسالة ماجستير منشورة، جامعة اليرموك، الأردن، 2003.

"Historical ties and social ties Between the Coastal Emirates and the Indian Subcontinent"

Researcher:

Maryam Humaidan Al Zaabi

summary:

The countries of the Arabian Gulf and the Indian subcontinent shared ancient historical relations, and the Arabian Gulf and the Gulf of Oman were the link linking trade between the Indus Basin and Mesopotamia, which was evidenced by archaeological discoveries in the region. Arab navigation in Indian waters was common many centuries before Islam, and the Arabic language reached the Indian subcontinent at the hands of Arab merchants and navigators before Islam. When Islam appeared and the Arabs embraced it, they included merchants and sailors who took it upon themselves to spread the Islamic religion in the regions they reached in Their sea trips.

The maritime routes taken by trade exchange ships between the Arabian Gulf and the Indian subcontinent were characterized by the stability of their features and directions since ancient times, and the list of trade exchange between the Arabian Gulf, India and Ceylon varied, whether in basic or luxury goods, but the trade balance favored India. The quantity of its exports exceeded the exports of the Arab Gulf countries, and its goods reached Europe via the Arabian Gulf and the Euphrates River, and then moved overland to the ports of the Levant and Egypt, and the Europeans (especially Venetian merchants) then transported and disposed of them in Europe.

الإصدار السابع – العدد سبعة وستون
تاريخ الإصدار: 2 – آيار – 2024م
www.ajsp.net
ISSN: 2663-5798 || Arab Journal for Scientific Publishing

AJSP
المجلة العربية للنشر العلمي

ISSN: 2663-5798 || Arab Journal for Scientific Publishing

الإصدار السابع – العدد سبعة وستون
تاريخ الإصدار: 2 – آيار – 2024م

www.ajsp.net

المجلة العربية للنشر العلمي

AJSP

ISSN: 2663-5798 || Arab Journal for Scientific Publishing

الإصدار السابع – العدد سبعة وستون

تاريخ الإصدار: 2 – آيار – 2024م

www.ajsp.net

ISSN: 2663-5798 || Arab Journal for Scientific Publishing

الإصدار السابع – العدد سبعة وستون
تاريخ الإصدار: 2 – آيار – 2024م
www.ajsp.net